الباب الأول

مكانة فلسطين في الكتاب والسنة

فلسطين بقعة مباركة ، بل هي من أقدس البلاد وأشرفها ، ولها في قلوب المسلمين جميعا مكانة سامية ، ولفلسطين ، وغرة جبينها القدس ، ولؤلؤتها المسجد الأقصى المبارك ، مكانة في الإسلام ، جاء التنويه بها في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الشريفة ، وتجلت كذلك في مشاعر المسلمين ، وعواطفهم الدينية ، وفي تعلقهم القلبي والروحي بهذا الأثر الديني العظيم ، وظهرت هذه المكانة أيضاً عبر التاريخ من خلال حرص المسلمين على فتح فلسطين عامة ، والقدس خاصة ، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب ، ثم في أيام صلاح الدين الأيوبي ، كما عملوا على صيانة معالمها ، والمحافظة عليها .

وقد توج ذلك الفضل والشرف : بمعجزة الإسراء والمعراج من المسجد الحرام ، إلى المسجد الأقصى ، وبما أنزل الله تعالى في شأن تلك المعجزة من آيات بيِّنات في القرآن الكريم : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

ويتضح من الآية السابقة بأن ما حولَ المسجد الأقصى من البلاد ، قد بارك الله فيه ، وسر هذه البركة : أن تلك الأرض هي مهبط الرسالات السماوية ، ومهد الكثير من الأنبياء والمرسلين ، وأفضلها «القدس» حيث المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى نبينا محمد ﷺ ومعراجه ، فليس في العالم قاطبة مدينة تثير الخواطر ، وتشحذ خيال المؤمنين ، مثل القدس الشريف ، التي وصفها ابنها العلامة الجغرافي شمس الدين أبو عبد الله المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم» ، بأنها «أجل المدن قاطبة ، لأنها مهبط الوحي ومدينة الأنبياء ، ومجتمع الدنيا والآخرة» ، هذه العبارات على إيجازها ، تختصر تاريخاً ممتداً طوله أكثر من أربعة آلاف سنة ، شهدت المدينة خلالها ، أمماً وحضارات ، وتعاقب عليها أفواج من الغزاة والطامعين .

وعند تتبع الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن مكانة فلسطين ، والقدس ، والمسجد الأقصى المبارك ، نجد أنها جاءت مؤكدة على إسلامية هذه البلاد ، وعلى أهميتها في العقيدة الإسلامية ، كما أظهرت مكانتها المرموقة ، فارتباط المسلمين بهذه البلاد هو ارتباط عقدي ، وليس ارتباطاً انفعالياً عابراً أو موسمياً مؤقتاً ، لأن حادثة الإسراء من المعجزات ، ولأن المعجزات جزء من العقيدة الإسلامية ، ففلسطين ستبقى على الرغم من المحن التي عصفت وتعصف بالمسلمين ، حصن الإسلام ومعقل الإيمان إلى قيام الساعة إن شاء الله .

* * *

الفصل الأول

فلسطين في القرآن الكريم

لقد ربط الله سبحانه وتعالى بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في الآية الأولى التي افتتحت بها سورة الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١)، وذلك حتى لا يفصل المسلم بين هذين المسجدين ، ولا يفرط في واحد منهما ، فإنه إذا فرط في أحدهما أوشك أن يفرط في الآخر ، فالمسجد الأقصى ثاني مسجد وضع لعبادة الله في الأرض ، كما ورد عن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري ﷺ قال : قلت يا رسول الله : أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال : «المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما؟ قال : أربعون عاماً»[1].

ولقد ربط الله بين المسجدين حتى لا تهون عندنا حرمة المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، وإذا كان قد بارك حوله ، فما بالكم بالمباركة فيه ؟ ! !

لا تخفى مكانة فلسطين في الكتاب والسنة على كل من له إلمام بالعلوم الدينية والدراسات الإسلامية فيعرف حتماً ـ من غير شك ولا ريب ـ أن فلسطين جزء من بلاد الإسلام وفيها المسجد الأقصى المبارك الذي شرفه الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ٤٠٧/٦ رقم الحديث٣٣٦٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد١/٣٧٠ رقم الحديث ١ .

تعالى بالتقديس ، وجمع فيه الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج تكريماً لنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وسنذكر عدداً من الآيات الكريمة التي تبين مكانة فلسطين ، والقدس ، والمسجد الأقصى المبارك منها :

١- قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١).

قال ابن كثير : هو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا جُمعوا له هناك كلهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، فأمهم في محلتهم ودارهم ، فدل على أنه ﷺ هو الإمام الأعظم والرئيس المقدم[١].

فالمسجد الأقصى مبارك في ذاته مباركة الأرض التي حوله وهي أرض فلسطين.

ويستفاد من الآية السابقة وصول النبي ﷺ أرض الشام ، حيث دخلها ثلاث مرات :

الأولى : وهو صبي مع عمه في التجارة ، والثانية : في ليلة الإسراء والمعراج ، والثالثة : عندما وصل ﷺ أطراف بلاد الشام في غزوة تبوك.

٢- وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ (سبأ:١٨).

قال العوفي عن ابن عباس : القرى التي باركنا فيها هي بيت المقدس[٢].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٢/٣٥٤ ، ط٧ دار القرآن الكريم بيروت سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٧٠٤ الطبعة الأولى دار الفيحاء بدمشق ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٣- وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧١)

لقد سلمّ الله تعالى إبراهيم ـ عليه السلام ـ من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم ، واختار له بيت المقدس مهاجراً لما لها من بركة وفضل على سائر البقاع ، وقد ذكر ابن جرير الطبري عن ابن عباس ﷺ : أن الأرض المباركة هي بيت المقدس لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء وهي كثيرة الخصب والنمو عذبة الماء[١]، وورد في تفسير ابن كثير عن أبي بن كعب قال : الأرض التي بارك الله فيها للعالمين : هي بلاد الشام وما نقص من الأرض زيد في بلاد الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ، وبها يهلك المسيح الدجال[٢].

٤- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠٥)، ذكر القرطبي عدة أقوال في المراد بالأرض في هذه الآية من هذه الأقوال عن ابن عباس أنها الأرض المقدسة[٣].

٥- وقال تعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٢١).

المراد بالأرض المقدسة : بيت المقدس وما حوله[٤].

وهو خطاب موسى ـ عليه السلام ـ لقومه بدخول الأرض المقدسة .. وفيها دليل على أن القدس وفلسطين مقدسة في الأزل ، قبل أن يحل بها قوم موسى ،

---

(١) تفسير الطبري ٣٠٥/١١ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٩/٣ .

(٣) تفسير القرطبي ٣٤٩/١١ لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٥٠٢/١.

لأن وجود المسجد الأقصى في القدس وفلسطين ، قبل حلول بني إسرائيل في فلسطين ، وقبل أنبياء بني إسرائيل الذين يزعم اليهود وراثتهم.

٦- وقال تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (ق:٤١).

المنادي هو إسرافيل عليه السلام ينادي من صخرة بيت المقدس وهي أقرب موضع من الأرض إلى السماء « أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء »[١] .

٧- وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة:٥٨).

ذهب جمهور المفسرين على أن المراد بالقرية « القدس »[٢].

٨- وقال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ (الأعراف:١٣٧).

(الأرض المباركة هي فلسطين وبيت المقدس).

والأرض هي : أرض الشام ، قاله الحسن البصري ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » لزيد بن أسلم ، وسفيان[٣] .

قال قتادة : مشارق الأرض ومغاربها المباركة هي بلاد الشام [٤]، وإنما بوركت لوجود القدس فيها ، والمباركة حسية بالخصب وسعة الأرزاق ، ومعنوية لأنها مساكن الأنبياء الصالحين .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٤١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٢٣.

(٤) تفسير الطبري (٦/٤٣) وتفسير ابن كثير ٢/٣٢٣.

٩- وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦١).

ذهب الجمهور على أن المراد بالقرية «القدس»[١].

١٠- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (النمل:٨)

أي فلما أتاها ورأى منظراً هائلاً عظيماً ، حيث انتهى إليها والنار تضطرم في شجرة خضراء ، لا تزداد النار إلا توقداً ، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء ، قال ابن عباس وغيره : لم تكن ناراً وإنما كانت نوراً يتوهج ، وفي رواية عنه نور رب العالمين ، فوقف موسى متعجباً مما رأى ، ﴿ نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ قال ابن عباس : تقدس ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي من الملائكة [٢].

وذكر الألوسي في تفسيره (روح المعاني) أقوالاً أخرى ، الأول : أن المراد بمن في النار نور الله تعالى وبمن حولها الملائكة عليهم السلام وروي ذلك عن قتادة والزجاج ، والثاني : أن المراد بمن في النار الشجرة التي جعلها الله محلا للكلام وبمن حولها الملائكة عليهم السلام ، والثالث : ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس : قال في قوله تعالى : ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ يعنى تبارك وتعالى نفسه كان نور رب العالمين في الشجرة ومن حولها يعني الملائكة عليهم السلام [٣].

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٣١٩/٢ المكتبة العصرية بيروت سنة ١٤١٧هـ وفق ١٩٩٧م .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٦٦٦/٢.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للإمام الألوسي ١٩ /١٦١.

كما ذكر الألوسي في تفسيره (واستظهر عموم من لكل (من) في ذلك الوادي وحواليه من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام)[1].

١١- وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨١).

قال المفسرون : الأرض التي باركنا فيها هي أرض الشام وتشمل بيت المقدس[2]، قال الزمخشري : وبركاته الواصلة إلى العالمين أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه ، فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية.

١٢- وقال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٤).

فقد ورد عن البراء قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يُحوّل نحو الكعبة ، فنزلت ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (البقرة: ١٤٤) فصرف إلى الكعبة.

فالنبي ﷺ كان قبل ذلك يصلى إلى بيت المقدس كما كان الأنبياء قبله يصلون ، وكان هو في مكة يحاول أن يجمع بين الأمرين ، فكان يصلى بين الركنين : بين الحجر الأسود والركن اليماني ، فتكون الكعبة أمامه ويكون

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للإمام الألوسي ١٩ /١٦٠.
(٢) تفسير الطبري (٨/٥٥)

أيضاً بيت المقدس أمامه ، ولكنه تعذر عليه ذلك حينما هاجر إلى المدينة ، فكان يتمنى من قلبه أن يوجه إلى قبلة أبيه إبراهيم ، وكان ﷺ ينظر إلى السماء دون أن ينطق لسانه بشيء ، حتى هيأ الله له ما أحب ورضي ، ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا . . . ﴾[1] (البقرة:١٤٤).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ أولَ ما قَدِمَ المدينةَ نَزَلَ على أَجْدَادِهِ ـ أو قال أَخْوَالِهِ ـ من الأنصار ، وَأَنَّه صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ستَّة عَشَرَ شَهْراً ، أَوْ سَبْعَة عَشَرَ شَهْراً ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صلاها صلاةَ الْعَصْرِ ، وَصَلَّى مَعَهُ قومٌ ، فَخَرَجَ رجُلٌ مِمَّن صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكعُونَ فقالَ أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُول الله ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا ـ كَمَا هُم ـ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَت اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُم إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدسِ ، وأَهْلُ الْكِتَابِ ، فَلمَّا وَلَّى وجْهَهُ قِبَل الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ [2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى تحويل القبلة عن بيت المقدس في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:١٤٤) فالمسجد الأقصى المبارك هو أولى القبلتين كما ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٦٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان ١/٩٥ رقم الحديث ٤٠.

١٣- وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة:١١٤).

المقصود بالمساجد هنا بيت المقدس ؛ فقد روي عن ابن عباس أنه قال : هم النصارى ، وقال مجاهد : هم النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه ، وقيل إنها نزلت في الروم الذين كانوا يمنعون الناس من ذكر الله في بيت المقدس ، وقيل : في قوله ﴿ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ قال قتادة : هو بختنصر وأصحابه ، خرب بيت المقدس : فالمراد بالمساجد على كل هذه الأقوال بيت المقدس ، ووصف من منع الناس من الذكر فيها والسعي في خرابها بالظلم والتوعد بالخزي له في الدنيا والعذاب في الآخرة ، مع تسليط الخوف على قلوبهم كلّما هَمّوا أن يدخلوها ، شعوراً بالذنب الكبير الذي ارتكبوه في حقها [(١)].

١٤- وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون:٥٠)، قال ابن عباس ﷺ في بيت المقدس ، وقال في ذلك أيضاً الضحاك وقتادة وكعب.

أي آوينا عيسى وأمه مريم إلى مكان مرتفع ، وفيه أقوال مختلفة : هل هو دمشق أو الرملة أو بيت المقدس ، قال قتادة والضحاك «هو بيت المقدس» ، قال ابن كثير : وهو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا أولى ما يفسر به ثم الأحاديث والآثار[(٢)] .

١٥- وقال تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (الحديد:١٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١٦/١.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٥٦٦/٢.

قال المفسرون : هو حائط بين الجنة والنار ، وقال ابن جرير الطبري وعدد من المفسرين هو السور الشرقي في بيت المقدس باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم[1].

١٦- وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾

(النازعات:١٣،١٤)

قال المفسرون : فإذا هم بالساهرة ، فإذا هم بوجه الأرض أحياء بعد أن كانوا أمواتا بباطنها ، والساهرة الأرض البيضاء المستوية ، وقال بعض المفسرين : الساهرة البقيع الذي هو إلى جانب الطور وهو المكان المعروف شمال سور القدس وله باب يسمى باب الساهرة [2].

١٧- وقال تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (التين:١-٣).

التين فاكهة طيبة ، والزيتون فاكهة من وجه ، ودواء من وجه آخر ، وزيته خير الزيوت ، وقد يراد بالتين والزيتون جبلين بدمشق والقدس ، وقال ابن عباس «الزيتون مسجد بيت المقدس أو الجبل الذي عليه بيت المقدس» ، وأما عكرمة (من التابعين) فيقول الزيتون هو «بيت المقدس» وهو ما اختاره ابن جرير الطبري ، وقال كعب : الزيتون بيت المقدس ، وقد جاءت الإشارة إلى قدسية هذه الأرض حين أقسم الله بها مع غيرها [3].

وقال بعض الأئمة : هذه محال ثلاثة ، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم ، أصحاب الشرائع الكبار ، (فالأول) محلة التين

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٦/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠١/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٨٠/٤ ـ ٦٨١.

والزيتون وهي (بيت المقدس) التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام ، (والثاني) طور سينين وهو (طور سيناء) الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، (والثالث) مكة وهو (البلد الأمين) الذي من دخله كان آمناً ، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ [1].

١٨- وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ (آل عمران:٣٧)

وقد جاء في تفسير روح المعاني (والمحراب على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما غرفة بنيت لها في بيت المقدس وجعلت بابها في وسط الحائط)[2].

كما دل قوله ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ (آل عمران:٣٧) على كلام محذوف ، أي فكانت مريم ملازمة لخدمة بيت المقدس ، وكانت تتعبد بمكان تتخذه لها محراباً ، وكان زكريا يتعهد تعبدها فيرى كرامةً لها أنّ عندها ثِماراً في غير وقت وجود صنفها[3].

وجاء في بعض كتب التفسير (أن أم مريم أتت الأحبار سدنة بيت المقدس فقالت دونكم هذه النذيرة ، فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم ، فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي ، فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن ، وألقوا أقلامهم على أن من يثبت قلمه في الماء فهو الأولى بها ، فثبت قلم زكريا وصعد بها فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد ، وكلما دخل عليها المحراب (أي في القدس) وجد عندها رزقاً وهنا اختصار في الكلام أي حين كبرت وبلغت مبالغ النساء بنى لها المحراب) [4].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٣/٦٥٤.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للإمام الألوسي ٣ /١٣٩.

(٣) تفسير التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور ٣/ ٢٣٦.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي ابن عطية الأندلسي ٣ / ٦٦ ، ٦٧ بتصرف .

١٩- وقال تعالى : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ (مريم:٧)، وقال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ (مريم:١١) ، وقال تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ (آل عمران:٣٩).

المحراب وهو موضع السجود أو صدر البيت كان في بيت المقدس ، والبشرى في الآيتين كانت ببيت المقدس ، قال المفسرون : ناداه جبريل حال كونه قائماً في الصلاة أن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى « وذلك في بيت المقدس »[١].

وتكفيل مريم في بيت المقدس ، ووجود الرزق عندها من فاكهة الشتاء والصيف في بيت المقدس ، والتبشير بيحيى نبياً ، والمناداة من المحراب في بيت المقدس ، إشارة من القرآن إلى قدسية القدس بوجود الأنبياء والصالحين .

٢٠- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (يونس:٩٣).

أخرج الطبراني عن قتادة (مبوأ صدق) قال : بوأهم الله الشام وبيت المقدس[٢].

٢١- وقال تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ (النور:٣٦)

وقد جاء في تفسيرها عن عكرمة أنها المساجد الأربعة : الكعبة ، ومسجد قباء ، ومسجد المدينة ، ومسجد بيت المقدس[٣].

---

(١) روح لمعاني في تفسير القرآن العظيم للإمام الألوسي ١٤٥/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٦٧/٢

(٣) فتح القدير للشوكاني ٤٣/٤.

٢٢- قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ (البقرة:٢٥٩)

قال ابن كثير في تفسيره : (وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس ، مرّ عليها بعد تخريب بختنصر لها ، وقتل أهلها) [١].

٢٣- قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ (النساء:١٥٤).

أي فخالفوا ما أُمِروا به من القول والفعل ، فإنهم أُمِروا أن يدخلوا باب بيت المقدس سجداً وهم يقولون : حطةً ـ أي اللهم حط عنا ذنوبنا ، في تركنا الجهاد ونكولنا عنه ، حتى تُهنا في التيه أربعين سنة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم ، وهم يقولون : حنطة في شعرة ـ [٢].

٢٤- قال تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء:٧).

لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ ـ ليقهروكم ويهينوكم ـ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ـ أي المسجد الأقصى ـ لا تحتمل معنى آخر يمكن الذهاب إليه.

قال ابن كثير : (المسجد ، هو بيت المقدس ، وبيت المقدس ، هو المسجد الأقصى ـ لا جدال في هذا) [٣].

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٢١.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٧٦٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٨.